النزعة الإجتماعية في شعر نزار قباني

الأستاذ المساعد الدكتور
سهاد جادري
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان ـ قسم اللغة العربية وآدابها
sohadjaderi@yahoo.com

The social tendency in the poetry of Nizar ghabbani

Dr.
Sohad Jaderi
Department of Arabic Language, Abadan branch,
Islamic Azad University, Abadan , Iran

الملخص:

كان نزار قباني من أبرز الشعراء السوريين في عصرنا، ولعب دوراً في تقدم حركة الشعر العربي المعاصر، فكانت "النزعة الاجتماعية في شعر نزار قباني" هي الموضوع الرئيسي لهذا المقال. ذكرنا موجز لحياة هذا الشاعر وبعض خصائصه الفنية في الشعر لكي نبيّن شأنه الاجتماعي العالي بين مواطنيه.

في هذا المقال أشرنا إلى القضايا الاجتماعية الهامة في شعره وذكرنا بعض الخصائص النفسية للموضوعات وفي النهاية عرضنا أهم القضايا الاجتماعية لشعر نزار كنتيجة للبحث.

الكلمات المفتاحية: النزعة الاجتماعية - نزارقباني - الشعر - المرأة - العالم العربي.

Abstract:-

Nizar Qabbani was one of the most prominent Syrian poets of our time. He played a role in the advancement of the contemporary Arab poetry movement, which was the main theme of this article. We mentioned a brief summary of the life of this poet and some of his artistic characteristics in poetry in order to show his high social relations among his citizens.

In this article, we referred to the important social issues in his poetry and mentioned some of the psychological characteristics of the subjects. Finally, we presented the most important social issues of Nizar poetry as a result of research.

Keywords: Socialism, Nazarbakani, Poetry, Women, Arab World.

المقدمة:

مما لا شك فيه أنّه لاينكرأحد دورنزارقباني في حركة الشعر العربي المعاصرالحديث، كان نزار من أبرز شعراء سورية في زماننا ولكنّه مثل كلّ شاعر (أو كلّ قمر) كان له جانبه غير المضئ، ففي هذه المقالة أردت أن أشيرإلى نزعته الاجتماعية في الشعر و إلى المجتمع الذي كان يعيش فيه. كيف يصوّره في شعره؟ و ما هي آراؤه الاجتماعية؟

هو الذي صوّر القضية الفلسطينية و واقع الوطن العربي بأسلوب يختلف تماماًعن أسلوب الشعراء السياسيين وعبّرعن الهموم العربية برؤية سلبية تشاؤمية حيث لا يجد القارئ من خلال النظرة العاجلة في دواوين الشاعر غير ذلك.

وإذا تعمقنا في أشعاره وجدناه شاعراً محبّاً للعرب وإنساناً عربياً يشيد بتاريخ قومه وحضارته. وأيضاً من خلال أشعاره، يبيّن لنا آراءه الاجتماعية والسياسية مستعيناً بمواهبه الشعرية.

فهو يعبّرعن أفكارهو يثورعلى السنن القديمة ويجاوزحدود الأسس التقليدية الموروثة. فنزار يدعو إلي المناضلين العرب ضد المحتلين الأجانب.

لذلك أردت أن أشيرفي مقالي هذا إلى سوسيولوجية نزار و خاصةً في أعماله الشعرية، فقمت بدراسة المواقف الاجتماعية في شعره ثُمّ أضفت إليها آراءً اجتماعية له و آرائي النقدية في هذا الشأن.

وأرجوا أن أكون في هذا المقال قى استوفيت كل الجوانب الاجتماعية في شعر نزار ولو بشكل موجز و بسيط.

لمحة من حياة نزار قبّاني

ولد نزار في ٢١ مارس /آذار /١٢٢٣ في حيّ ((مئذنة الشحم)) بدمشق لأسرة ميسورة الحال في بيت من بيوت دمشق القديمة بيت ملئ بالزهور والأشجار وجمال الطبيعة وعراقة التاريخ تحيط به من كل جانب. (ثابت، محمد، ٢٠٠٤م، ص٧ وأبو السعود، صلاح، ٢٠٠٣م، ص٨).

كان أبوه توفيق القباني صاحب محلّ لصناعة الحلويات و قد شارك في مقاومة الإنتداب الفرنسي على بلاده، كان رجلاً ثورياً.(ثابت، محمد، ٢٠٠٤م، ص٧ وأبوالسعود، صلاح، ٢٠٠٣م، ص٨).

كانت أمه ((فائزة)) إنسانة عادية، تشبه الكثير من النساء في عصرها و كانت تعاني كثيراً من التباعد الفكري والثقافي بينها و بين توفيق القباني والد نزار.(أبوالسعود، صلاح، ٢٠٠٣م، ص٩).

كانت أمه إمرأة متدينة تسبغ علي النزارواسع حنانها، ولكنّه مائلاً إلي أبيه و فضّله علي أمّه بسبب وجود صفات مشتركة بينهما.(فقيه، يونس،١٩٩٨م، ص٩٩ و خالد أبو على، نبيل، ١٩٩٩م، ص١٦) كما يقول: ((لم يكن أبي متديناً بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، كان يصوم خوفاًمن أمي ويصلّي الجمعة في مسجد الحي في بعض المناسبات))(قباني، نزار، ١٩٨٩م، ص٧٤)

ثُمَّ يتابع قائلاً ((بين تفكير أبي و تفكير أمّي السلفي نشأت أنا علي الأرض من النّار والماء. كانت أمّي ماءً و أبي ناراً و كنت بطبيعة تركيبي أفضل نار أبي على ماء أميّ. (المصدر نفسه، ١٩٨٩م، ص٧٥).

طفولته:

تزامنت طفولة نزار مع فترة الانتداب الفرنسي وكان الشعب السوري يعاني من احتلال المستعمرين وكانت سحب الخيبة و اليأس تغطي الواقع آنذاك. وفي ذروة هذه الظلمة المحيطة بالناس، قام رجالٍ ثوار كتوفيق قباني الذي ساند الحركة الوطنية، ووهبها صلابة وصموداً، فقد كان من زعماء مقاومة الانتداب الفرنسي وكان يعقد في بيته حلقات سياسية مكونة من السياسيين وعامة الناس. (المصدر نفسه، ١٩٨٩م، ص٢٦)

وعن طفولته يقول نزار: ((الطفولة فيلم سينمايي أخاف أن أشاهده وأنا جالس وحدي... لأنّه أقرب إلى أفلام العبث واللامعقول، ولا يخطر ببالي أن أرجع إلى ألبوم الطفولة... لأنّه يفتح على أبواب الجحيم.... ويعيدني إلى زمن لم تعد مفاتيحه معي... وإلى حبيبات غرفت أسماؤهن في مياه الذاكرة.... (قباني، نزار، ١٩٧٣م، يا أطول قصيدة (اعتراف)

أبو خليل القباني، عم والد نزار(١٩٢٠، ١٨٣٦م)، كان من العناصر الرئيسية في بداية نشوء المسرح العربي و كان له دور هام في مهاجمة الأسس للعرب و تطويرها. حتّي أنّ مشايخ دمشق قاوموه و قابلوه لإحساسهم بخطره على الأخلاق.(خالد أبو على، نبيل، ١٩٩٩، ص١١) و كما زعم النقاد كان نزار سائراً على طريقة عمه أبى خليل،مصوراً لأفكاره في الشعر.(قباني، نزار، ١٩٧٣م، ص٧١ و خالد أبو على، نبيل، ١٩٩٩م، ص١٧)

نشأته الدراسية:

تلقّى قباني تعليمه الابتدائى والثانوي في الكلية الوطنية بدمشق و كان النظام التعليمي حينذاك تحت رقابة الفرنسيين. وانتهجت هذه المدرسة للمتعلمين منهجاً حديثاً في التدريس. و كانت اللغة الفرنسية فيها هي اللغة الثانية و كذلك كانت الكتب الدراسية بهذه اللغة. وكانت أساتذة هذه المدرسة يستقدمون من فرنسا.أثرت هذه الدراسة على أدب الشاعر تأثيراً واضحاً، ذلك أنّه نهل في بدايات حياته العلمية من ينابيع الأدب الفرنسي و قرأ لأدبائها المشهورين، و بذلك تعرف على الفكر الأدبي الأوربي و ثقافته. (قباني، نزار، ١٩٧٣م، صص٤٠-٤٤)

نال قباني شهادة الثانوية في هذه المدرسة، ثم التحق بكلية الحقوق في جامعة دمشق عام ١٩٤٥م. و في نفس السنة دخل وزارة الخارجية و تولّى عدداً من المناصب، فعمل فيما بعد في بلدان مختلفة، أدى عمله في السلك الدبلوماسي إلى إتساع نطاق أفكاره وثقافته واطلاعه على الحضارة الأوربية الجديدة و آدابها.(خالد أبو على، نبيل، ١٩٩٩م، صص١٣ و ١٤).

حياته الزوجية:

تزوّج نزارمرتين المرة الأولى من الإمرأة السورية، زهرة إقبيق عام ١٩٤٦م. و المرة الثانية من السيّدة العراقية، بلقيس الراوي، عام ١٩٧٠م.(فاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥، ص٦٨٦).

بعد فشل زواجه الأول، تَزَوّج عام ١٩٧٠ م من سيدة عراقية هي ((بلقيس الرّاوي)) تعمل في السفارة العراقية في بيروت، فأنجبت له،((زينب)) و ((عمر))، وقد توفيت في حادث انفجار السفارة العام ١٩٨١، فتركت وفاتها أكبر الأثر في نفسيته، ورثاها بقصيدة رائعة أعطاها عنواناً اسم زوجته ((بلقيس)) و هي تُعَدُّ من روائع الشعر في نهايات القرن

العشرين.(ثابت،محمد، ٢٠٠٤م، ص٨)

ثقافته:

كانت سورية حينذاك تحت الاحتلال الفرنسي بدأ تعليمه الابتدائي في دمشق ثم أكمل الدراسة الثانوية هناك. وكان أغلب مدرسيه من الفرنسيين، وكانت الكتب الدراسية باللغة الفرنسية، وبذلك استطاع كما يقول نزار نفسه - أن يتعرف على أدب راسنين وبودلروكورني وهو نجو في مصادره وبلغته الأصلية. وتَعَلَّمَ اللغة الإنجليزية في لندن خلال اشتعاله في سفارة سورية هناك بين سنة ١٩٥٢و ١٩٥٥م. أما اللغة الاسبانية فقد تعلّمها في مدريد، وخلال أربع سنوات قضاها يعمل في السلك الدبلوماسي بين سنتي ١٩٥٦ و ١٩٦٢م. (شكيب أنصارى، محمود، ١٣٨٢هـ.ش. ص ٢٢٧)

فتنقّل بين عدة عواصم و صقلت هذه التجربة موهبته الشعرية.(شعار، فواز، الجزء الثاني، بلاتا، ص١٧٦)حيث استوحى أمجاد أجداده العرب الأمويين في الأندلس ثم استقال من الوظيفة لينصرف إلى نظم الشعر.(خليل جحا، ميشال، ١٩٩٩م.ص٣٢١)

وفاته:

توفّى نزار يوم الخميس الموافق ١٩٩٨/٤/٣٠م في لندن و نقل جثمانه، حسب وصيته، ليدفن في مقبرة الأهل في دمشق، لأنّ دمشق كما يقول في وصيته: ((هي الرَّحمُ الذي علَّمني الشعر و علَّمني الإبداع، و أهداني أبجدية الياسمين... و هكذا يعود الطائر إلي بيته و الطفل إلي صدر أمه)).

(صحيفة القدس، ١٩٩٨/٥/١ م، ص١٢)

أدبه:

ترك العمل الوظيفىّ و تَفَرّغ للكتابة و قرض الشعر فأسَّس داراً للنشر في بيروت سمّاها((دار نزار قباني)) و صدرت منها جميع مجموعاته الشعرية.

أثر في نفسه حادثان تركاجرحاً عميقاً، الأوّل وفاة ولده الشاب الذي كان علي أبواب التّخرّج طبيباً، و الثاني فقدُه زوجته بلقيس التي قتلت في حادث تفجير السفارة العراقية في بيروت.(شعار، فوّاز، بلاتا، ص١٧٦)

بدأ كتابة الشعر سنة ١٩٣٩، و نشر ديوانه الأوّل ((قالت لي السمراء)) سنة ١٩٤٤، و كان هذا الديوان تعبيراً جريئاً عمّا كان يعانيه جيل الحرب العالمية الثانية من ضياع و قلق وكَبْت عاطفي...و قد تعرّض هذا الديوان حين صدوره لمقاومة عنيفة من قِبَل المتزمّتين و الأخلاقيين، و اعتبر خروجاً عن خط المدرسة التقليدية للشعر العربى شكلاً و مضموناً. (فاخوري، حنا، ١٩٩٥ م، صص٦٨٦و ٦٨٧) و مع ما واجه نزار قباني من سخط السّاخطين، استمرّ في تحطيم أصنام البلاغة القديمة و استمرّ في إباء حياته، مدّعياً أنّه يحرّر مشاعر الإنسان العربي و عواطفه من القهر و الإرهاب و الإزدواجيّه، و راح يطرح مشاكل جيله العاطفيّة علي الورق من غير أقنعه و لازيف، حتى رأى بعضهم في شعره باب الخلاص للشباب العربي ((المعتقل في سراديب التاريخ وتقاليده)) (المصدر نفسه، ١٩٩٥م، ص٦٨٧) و في سنة ١٩٤٨م صدرت مجموعتة الشعرية الثانية في القاهرة، تدور على المرأة و التغزّل بها و وصف جسدها، و عنوانها ((طفولة نهد)) (خليل حجا، ميشال، ١٩٩٩م.صص٣٢١و ٣٢٢) و بعد ذلك صدر له ((سامبا)) و ((أنتِ لي)) و((قصائد)) و((الرسم بالكلمات)) و ((قصائد متوحشة)) و ((كتاب الحب)) و ((أحلى قصائدي)) وصدرت أعماله الكاملة في ثلاثة مجلّدات كبيرة.(شعار، فوّاز، بلاتا، صص١٧٦ و ١٧٧) وكذلك صدر له كتاب في الترجمة الذاتية هو ((قصّتي مع الشّعر)). و قد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية و نشر سنة ١٣٥٦هـ.ش في طهران، و عُرف نزار بين أصدقائه وأعدائه بأنّه ((شاعر المرأة)).(شكيب أنصارى، محمود، ١٣٨٢هـ.ش. ص ٢٢٧) ولا شك في ذلك فإنّ الشاعر قد تغزّل بالمرأة و كان ممتازاً في غزله و رقيقاً جداً فيما صوّر من دَلال ووَله و شوق. (المصدر نفسه، ١٣٨٢ هـ.ش. ص ٢٢٧)

ووقعت نكسة حزيران عام ١٩٩٧م، فقد إتّهَمَهُم الشعب بالخيانة و وَصَمَهم بالتبعية، بعد هذه النكسة التي كان نزار قباني و أمثاله من عواملها و أسبابها، طلع علينا الشاعر ينقد و يصّب جام غضبه على الملوك و الرؤساء و كلّ المؤسسات و الأفكار القديمة، و يصدرُ ديواناً جديداً هو ((هوامش على دفتر النكسة)) و تلتْه قصائد ودواوين أخرى ينقد خلالهانفسه ومجتمعه.(المصدر نفسه، ١٣٨٢هـ.ش، ص٢٧٨).

لنزار قباني نثر يمتاز بالعفوية وغني التصوير والصورة، وله شعر منثور يتّصف بالمرونة واللين والموسيقى على نبضات القلب واختلاجات الوجدان وله خصوصاً شعره الذي ملأ

صفحات الدواوين التي لا تزال تتلاحق في فَيْض و خصب عجيبين. (فاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥م، ص٦٩٢) و شعر نزار واضح غاية الوضوح، و أفكاره سلسة ليست كأفكار بعض الشعراء - والذين انتشروا في الوقت الحالي - والتي لا تكاد تصل إلي أول الخيط الذي تفهم به فكرة القصيدة حتى تكتشف أنك فهمت خطأ، بل و في أحيان كثيرة تكتشف أن الشاعرنفسه و الذي كتب القصيدة لا يعرف الفكرة التي تدور حولها القصيدة. (أبوالسعود، صلاح، ٢٠٠٣م، صص١٨و١٩)

إستطاع أن يبسّط لغة الشعر بحيث جاءت لغته وسطاً بين الفصحى و العاميّة، هي لغة ثالثة كلغة الجرائد. أدخل فيها الكلام اليومي العفويّ و المباشر. أدخل فيهاتعابير لم تدخل حرم الشعر قبله، كمثل:((منقوشة الزعتر))، ((السيرك)) و كلمات أجنبيّة كثيرة، مثل: ((الكورنيش))، ((السرفيس))، ((الكفاتيريا))، ((المارون غلاسية)) و ((سمبا))، و((فستان التفتا))، ((البوليس))، ((الدولتشي فيتا))، ((المالبورو)) و((الترفيك)) و سواها. في بعض شعره تصبح اللغة أقرب إلى اللغة النثر.

(خليل جحا، ميشال، ١٩٩٩م.صص٣٢٨ و ٣٢٩)

المواقف الإجتماعية في شعر نزار:

السوسيولوجيا في شعر نزار :

إنّ نزار قباني كلّ ألقابه التي أطلقت عليه فهو مثل كلّ شاعر و أديب ملتزم، مسؤول بأمور أسرته و مواطنيه؛ و ملزم بإنجاز العهود و العقود الموجودة بينهم، بحكم اعتقاده الديني؛ و خاصة مؤمن بأصالته العربية الشرقية و القضايا الإجتماعية الملتصقة بها.إذ لا ننكر موقفه إزاء قضيته فلسطين و مسألة إسرائيل و مكافحته السياسية. في كثير من أشعاره السياسية، هذه الأشعار التي شكلت في قالب سياسي ولكن قالبه مأخوذٌ من (إحساس اجتماعي وعاطفة إنسانية). وجعل ألفاظه و لغته مُزيّنة ببساطة لغةٍ التصق بها.

ومع هذا في رأينا أنّ جميع الأشعارسياسيّة، من أي شاعرٍ تُقال، فهي تُصدرمن إحساس اجتماعيّ و عاطفة أنسانيّة في ذ اتة. فإنّ الشعر السياسي يكون مرتبطاً بالمجتمع ولا يمكن أن يقال شعر سياسي دون ارتباطه بمجتمعه.

ويمكن لنا أن نقول في قراءة الشعر السياسي و قضاياه المتنوعة نحسُّ بأنّ القضايا الإجتماعية مزيجة بالسياسية و قضاياها، و هذا أمرٌ واضحٌ لأن الإنسان و المجتمع الإنساني وظواهره تكون الموضوع الرئيسي و الأصلي في السياسة و خاصة في الأشعار السياسية التي نقرأها لنزار ونشير إليها في بحثنا الإجتماعي.

لذلك نحن لا نبالغ إذا أردنا أن نخاطب نزاراًبلقب ((الشاعر الإجتماعي)) أو((شاعر القومية)).لأنّه إنسانٌ يعيش معهم في هذه البيئة و يَكبرُ و ينشأ فيها في ظلّ الألطاف الإلهية المتوفرة له. و يرى نفسه عاشقاً فيحبّ جمالياتها أو كلّ ما يراه من الجمال في هذه البيئة و يشترك معهم في قضاياهم اليومية خاصةً في المعاملات، و تصبح له أحاسيس و عواطف حقيقيّة أو خياليّة متبعُها دون شك يكون القلب أو العقل.

ومعنى ما قلناه الآن يدّل على أنّ طبيعة الحياة و القانون السائد في الطبيعة كلّه، يكون لكلّ المخلوقات من النّاس هكذا.أي ليست هذه قاعدة أو قانوناً يشمل شاعرنا نزاراً وحده فقط، بل يشمل كلّ إنسان اجتماعي في حياته الإجتماعية، و حتى الحياته الفردية. أمّا الإنسان فلابدّ له أن يطابق نفسه بالمحيط الذي يعيش فيه، سواء كانت أسرته او بلده، و أيضاً يجب له، أن يخضع لقوانينها المرعيّة السائدة.

ونزار كعضوٍ من أعضاء هذا المجتمع، و ككلّ شاعر و أديب ملتزم في العالم، خاصة في الشرق العربي، لا تخلو كتبه الأدبية و قصائده المتنوعة من الظواهر المستجدّة، و القضايا الإجتماعية التي ترتبط به الأسرة و المجتمع العربي الذي عايشه نزار نفسه.

و نحن نرى أن موضوع المجتمع و ظواهره في كثير من أشعار نزار خاصة، و في أدبه عامة شئٌ محسوس و ملموس. كما أننا نستطيع أن نقول إذا قرأنا شعراً من أشعارنزار، لا تراه فيه يتكلّم عن مجتمع أسرته، و قضاياه فقط، بل أكثر قصائده تدلّ على الموضوعات المتنوعة، و حول موضوع القضايا العامّة في البلدان العربيّة. فنزار يخاطب الناس بلسان المرأة، ويُصوّر قضاياهم الاجتماعية والسياسية، بشكل خاص وملموس في أشعاره. ونرى له قصائد وأشعار كثيرة حول وطنه (دمشق) خاصة وكل الدول العربية في عالم الشرق. لأنّه كان يحسّ بأنّ العرب والعربية والأعراب كلّهم يكونون أصله وقبيلته و...

وفي رأينا إذا أردنا أن نتحدث عن المواقف الاجتماعية في شعر نزار قباني يجب لنا أن

نقسّم شعره الاجتماعي إلى ثلاثة أقسام من حيث الموضوع حتّى يمكن لنا أن نشرح أو نبيّن المواقف الاجتماعية في شعره بوضوح:

١- المجتمع الأول: (المجتمع الصغير و الرئيسي الأسرة (الأب و الأم و الأولاد)

٢- المجتمع الثاني: الوطن و قضاياه (بلده دمشق)

٣- المجتمع الثالث: كل العالم العربي و قضاياه

١ـ الأسرة

إذا أردنا أن نبحث عن نزعته الاجتماعية فأول مجتمع تكلّم عنه نزار في قصائده هم المجتمع الإنساني الأوّل و الأساس الذي تتشكّل أجزاؤه من (المرأة و الرجل و أولادهما). إنّ نزار حاول حتى أن يصوّر لنا هذا المجتمع الصغير من خلال طفولته، لأنّه هو الكنز الملكي للحياة الباطنية و النبع الثري للملكة الشعرية. فكل ما يتعلق بميوله و نزعاته، و مايميّز خلقه و مزاجه يتشكّل في مرحلة طفولته. و نزار في كتابه(قصتي مع الشعر) يصوّر طفولته الواعية التي هي تشكّل مجموعة من ذكرياته.

الف ـ مكانه المرأة في شعر نزار (أوفي طفولته الشعرية)

نـزار و شـأن الأم

أول ما نشاهده في شعر نزار لرفيقاته و لحبيباته اللواتي يعاملنه معاملة أم لطفلها هي الصورة الجميلة لأمّه، التي نبدأ بحثنا حول موقف الام في شعره فنزار في قصيده ((خمس رسائل إلى أمي)) يذكر أمّه في هذه القصيدة، يذكر رحلاته إلى البلاد ((الهند والسند و...)) والوحدة والغربة التي كانت ما تزال معه.

و هذا يدلّ على أنّ شأن الأم في شعر نزار له موقف مهم. فإنّ الأمّ هي أوّل إمرأة عرفها نزار و أحبها و تأثر بها في حياته، خاصة في شعره الاجتماعي. ثمّ المرأة الثانية التي يُشير إليها نزار كثيراً في أشعاره، وعرفها منذ حياته.

هي أخته وصال التي قتلت نفسها، لأنّها لم تتزوّج حبيبها، ثمّ زواجه الأوّل الفاشل سنة ١٩٤٤م، و بعد ذلك زواجه الثاني مع بلقيس الرّاوي سنة ١٩٧٠م وحبّه الصادق لها كما

نرا أثرها الواضح بعد وفاتها، في حياة نزار و أشعاره. فكلّ يدلّ على أن الأنثى لها شأن خاص من حيث المجتمع في شعر نزار. و له نقرأ:

وحطتُ الهندطفتُ السِندَ طفتُ العالمَ الأصفرْ

ولم أعثرْ

على إمرأة تمشّطُ شَعريَ الأشقرْ

وتحمل في حقيبتها إليَّ عرائسا السكّرْ

(قباني، نزار، ١٩٨٣م، ص٥٣٠)

إنَّ شاعرنا بعد نيله شهادة الحقوق، شغل عدداً من المناصب الدبلوماسية في القاهرة وتركيّا وبيروت والصين وإسبانية. (فاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥، ص٦٨٦).

يذكر لنا في شعره أنّه لم يقدرأن يعتاد فراق أمّه، بعد كلّ هذا التنقل الوحيد من بلد إلى آخر بحكم وظيفته، و حتي بعد زواجه الأول كان نزار هذه المدّة الطويلة قبل زواجه الثاني، يشعر بحاجة إلى الأم القادرة على حمايته من أذى الأخطار:

فكيـــــف يـــــا أمّـــــي غـــدوتُ أبـــاً ولم أكـبـــر

(قباني، نزار، ١٩٨٣م، ص٥٣١)

و من يدري؟ لعلّه في فترات إحساسه بالهزيمة كانت تعاوده حكاية أخته المنتحرة. هذه الأخت التي قتلها الإخلاص في الحب، ربّما كانت الوجه الآخر لمثله الأعلى. وقد تجسّد في المرأة- الأم (خرسيتو، نجم، ١٩٨٣م،ص٥٠)

وله أبيات أخرى يشير فيها إلى المرأة و شروطها، و يحبُّ لها أن تستوفي شروط الأمومة وهي ((الرعاية و الحماية)) و ((الاهتمام)):

وأنا محتاجٌ منذ عصورْ

لإمرأة تجعلني أحزن

لإمرأة أبكي فوق ذراعيها مثل العصفور

(المصدر نفسه، ١٩٨٩م، صص٥٠و ٥١)

وفي الخامسة والخمسين من عمره عام ١٩٧٩م نزار يكتب أبياتاً حول جميع مستلزمات المرأة - الأم إزاء طفلها الصغير :

أشهد أن لا إمرأةً أتقنت اللعبة إلّا أنتِ

و احتملت حماقتي عشرة أعوامٍ كما احتملتِ

واصطبرت على جنوني مثلما صبرتِ

وقلّمت أضافري و رتّبت دفاتري

و أدخلتني روضة الأطفال إلّا أنتِ

وأشهد أن لا إمرأةً تعاملت معي كطفلٍ عمرهُ شهران إلّا أنت (قباني، نزار، ١٩٨٣م، ص١٤)

ففي هذه الأبيات نرى أنّ نزاراً في أواخر أعماله زادَ تعلُّقه بالمرأة - الأم خاصةً. وهي ظاهرة مألوفة في نظر المحلّلين لأنّ الإنسان كلّما تقدّمت به السن شعر بالضعف و الوهن و أحس بضرورة الاعتماد على سواه.

نزار و شأن الزوجة:

حياته الزوجيّه مع بلقيس كان لها دور خاصّ في طفولته، لأنّها ساعدته في أشعاره، و صارت له بدلاً عن حضور أمّه فنقرأ لنزار أبياتاً يخاطب بها حبيبته في عام ١٩٧٩م.

أشهد أن لا إمرأةً قدجعلت طفولتي

تمتدُّ للخمسين إلّا أنتِ

أشهد أن لا إمرأة غيرك يا حبيبتي

على ذراعيها تربّى أول الذكور

و آخرالذكور.

(المصدر نفسه، ١٩٨٩م، ص٢٦)

كانت بلقيس تعامل نزار معاملة أمّ لطفلها الذي يحتاج محبتها و رعايتها، يقول نزار: فهي كانت دائماً تقول لي، أنتم أطفالي الثلاثة: زينب و عمر و نزار (خرسيتو،

نجم، ١٩٨٣م، صص٥٤ و ٥٥)

ولنزار أبيات، يذكر فيها تصوير النهود، والإكثار من التغنّي بها:

أطميعـــه مـــن ناهيـــدك أطمعيـــهِ واســـفَحي أعكَـــرَ الحليـــب بفيـــهِ

(قباني، نزار، ١٩٨٣م، ص٧٨)

رغم كثرة قصائد الحبّ، وتنوعها في شعر نزار، ورغم تعداد أسماء النساء الجميلات اللواتي يجمّلن شعره إلّا أنّ إسم بلقيس يبقي الأوضح والأجمل والأقوى، وتبقى عاطفته نحوها الاعمق والأكثر حرارةً وحباً، كيف لا وهي الحبيبة والزوجة وام الأولاد.

وكثيراً ما كان نزار يردّد اسمها في قصائده. (المصدر نفسه، ١٩٨٣م، ص١٠٥)

نزار و قضية المرأة والجنس:

ويدخل نزار حرم المجتمع، ملتفتاً إلى قضيّه المرأة و الجنس ناظراً إلى تخويف الآباء والأمهات من الجنس. (شلق، علي، ١٩٩٨م،ص٥٦٠)

خوّفنا من عذاب الله إن نحن عشقنا

فنشأنا كنباتات الصّحاري

نلعق الملح، و نشتاق الغبارا

(أبوالسعود، صلاح، ٢٠٠٣م، ص٣٤)

هذه القصيدة من أقوى قصائد نزار الحسيّه، و فيها يربط بين الحبّ و الجنس بصورة لا تخفي عن فطنة القارئ، و عندما سأله الأستاذ مفيد فوزي:

إنَّ شعر الحب، عنده فيه الحس، بل هو أحياناً الحس ذاته، أجابه نزار: أنت تطالبني بأن أحتفظ بنقائى، و نظافة ملابسي في منجم فحم، تطالبني بأن أرتفع بفكرة الحب إلى مرتبة عالية جداً. هذا ضد بشريتي. (بلاتا، ص٩٧)

وهو في قصيدة ((خاتم الخطبة))و قصيدته الأخرى ((إلى أجيرة)) يستنكر زواج الصفقة الذي يسعي إليه حمالوا لأقوال، كما يندد بمن يستعبدون المرأة في قصيدته ((الحب والبترول)) و((صوت من الحريم)). (الدقاق، عمر، بلاتا،ص٣٧٦)

حتّى الخطيئة، الخطيئة نفسها يحمّل وزرها، لأنه أشبهه بالوحش اتّجاه الفريسة في أنانية الطاغية و جبنه المخزي فكلماته في قصيدة ((حبلى)) دفاع حادّ عن المراة، ينطوي على كثير من القيم و المثل.

وفي قصيدته ((أوعيته الصديد)) لنزار أيضاً إدانة بالغة لهذا المجتمع الشرقي المغلق الذي لا همّ لرجاله إلّا أن يقضوا سحابة عمرهم ملتصقين كالعلق بأثداء النساء و أفخاذهن.

وفي قصيدته ((إلى إمرأة محايدة)) يقول:

لا تتركيني واقفاً...

ما بينَ منطقة البياض،

و بين منطقة السواد.

أنا في شؤون الحبِّ...

لا أرضى الوقوفَ علي الحيادّ.

(أبوالسعود، صلاح، ٢٠٠٣م، ص٥٧)

نزار وحرية المرأة:

وفي قصيدته ((حين أحبك)) نقرأ:

يستوطنُ حزنٌ عباسيّ في عينيك و تبكي مدنٌ شيعية

وتلوحُ مآذنُ من ذَهَب

وتضئُ كشوف صوفية

(المصدر نفسه، ٢٠٠٣م، ص٧٣)

ويقول أيضاً فيه

تتظاهرُ- حين أحبك- كل المدن العربية

(المصدر نفسه، ٢٠٠٣م، ص٧٤)

الحب إيمان و ثورة ضد عصور الثار وضد الأنظمة القبلية وضد القبح وضد مؤسسة

الصحراء... الحبّ في هذه الأبيات رغبة لا تنتهي من التمرّد... الحبّ هو الحياة النابضة الخصبة ((الحب هو تلك الحياة العميقة المليئة الخصبة وهي حياة نحيا فيه لنحب، ونحب لنحيا، فالحب هو الحياة النابضة الوفيرة)) (المصدر نفسه، ٢٠٠٣م، ص٧٤)

سعى نزار إلى تحرير المرأة، المرأة الأمة، المرأة الحارية، المرأة الوليمة، التي يُنظر إليها كجسد المحض. أمّا المرأة المبدعة و الخلّاقة الموحيّة بجمالها و أنوثتها و حبّها فهي ضالّته.

(المصدر نفسه، ١٩٩٩م، ص٣٢٤)

فلهذا نرى نزاراً يخاطب هذه النساء بلغته الوسطى عند مخاطبته النساءه لأنّ نساء ((هنّ من نساء الطبقة الوسطى)) (قباني، نزار، ١٩٩٠م، ص١٦٦) و هكذا أصبحت المرأة الموضوع الذي احتلّ مساحةً كبيرة من شعر نزار. خاصةً المرأة العربية.

المرأة الشرقية في شعر نزار:

إنّ نزاراً كمدافع عن حقوق المرأة، و كمشرع لسلوك المرأة الجديدة المعاصرة، و كثائر على القيم الاجتماعية الموروثة، شاعرٌ لا يكتب غزله إلّا من خلال نفسيه المرأة البورجوازية.

(سلوم، داود، ١٩٧١م، ص٢١٨)

و يرى نزار أنّ نطوّر الشرق و اندفاعه نحو حريته و استقلاله إنّما يتمّ بإعادة النظر في تقاليد الشرق الجنسية، و هو يرى كما يبدو أنّنا لو انعتقنا من التقابيد الاجتماعبة لأصبحنا أمّة متمدنة عريقة في مدنيتها و لانزاحت الهموم و اختفت البطالة و حلّت الحرية وضع الشرق!!!

الشرق الأوسط تقتله الأمية التي تسيطر على الغالبية العظمي من نسائه و رجاله.

ولا همّ للمرأة في رأي نزار إلّا أن تفكر بموضوع الواحد، و يفترض، أن كيانهالا يقوم إلّا على عقدة واحدة هي (عقدة الجنس). لقد اختفت هموم المجتمع إلّا هذا الهم الرّخيص. و يضع نزار حلّاً لتقدم الشرق،و تخلصه من كل عوامل التأخر و عقد النقض يضع حلّاً بسيطاً جداً هو: ألّا يشغل الشرقي نفسه كثيراً بمسألة العفة، أو البكارة، فإذا ما تخلص الشرقي في رأي نزار من (عقدة البكارة فقد خطا الخطوة الأولى نحو عصر النور الجديد) فتقرأ قوله:

تظل بكارةُ الأنثى

بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا

(المصدر نفسه، ١٩٧١م، صص٢٢٢ و ٢٢٣)

ويبدو أن منطق نزار في كل هذا هو منطق شاعر المرأة البرجوازية في المدينة.

فالمرأة في شرقنا الاوسط، يمكن أن نصنفها حسب بيئتها الاجتماعية إلى ثلاث طبقات بارزة.

١- **طبقة المرأة العاملة**، و أقصد بها العاملة بنفسها، أو التي تنتمي إلى طبقة عمالية، وتتوفر هذه المرأة في المدن و في الأحياء الصناعية الفقيرة غالباً.

٢- **طبقة المرأة الريفية**، و هي كذلك تنتمي إلى طبقة رئيسية، و تعمل في الأرض و بيئتها الريف، و هي أكثر تخلفاً ة تأخراً في المظهر و القابلية النفسية و الثقافية و الدخل من أختها.

والمرأة في هاتين الطبقتين (العاملة و الرّيفة)، لا يعرفها نزار، لأنّ هذه المرأة بعيدة عن المستوى المادي و الأخلاقي و الاجتماعي الذي يحياه نزار و يدور في فلكه.

٣- **طبقة المرأة البورجوازية**، و أقصد بها المرأة التي تنتمي إلى طبقة ثرية بالوراثة و عامل الصدفة و الميلاد. أو المرأة التي وصلت بمجهودها الشخصي، و الثقافي إلى الكسب ما يهيئ لها المستوى البورجوازي، و في غالب الأحيان في المظهر فقط. فكثيرات هنّ اللواتي ينتمين إلى عوائل فقيرة كادحة، و بائسة جداً، و عوضاً، أن تعمل هذه المرأة البورجوازية المظهر على رفع مستواها الثقافي أو الغذائي أو السكني، فإنها تعمرإلى رفع مستوى مظهرها الخارجي فقط، فتشبه في ملابسها و مظهرها و أناقتها، و أزياء المودة بالطبقة الثرية المترفة.(المصدر نفسه، ١٩٧١م، صص٢٢٤ و ٢٢٥)

ب) مكانة الرجل في شعر نزار:

الأب في شعر نزار:

كثيراً ما كان نزار يشير في أشعاره إلى أبيه و دوره في الثورة ضد المستعمرين و عن

مشاعر أبيه و مكانته في الشام و أخلاقه في البيت يقول: عن أبيه و تأثره به :((إذا كان كلّ طفل يبحث خلال مرحلة طفولته عن فارس ونموذج و بطل فقد كان أبى فارسي وبطلى ومنه تعلّمت النّار)). (قباني، نزار، ١٩٧٣م، ص٧٦)

ولكن حادثة انتحار أخته الكبري و أمورأخرى في هذا المجتمع الأبوي جعلته يثورعلى المجتمع الذي يقمع الجنس، و يرفض سلطة الأب فهو في قصيدته يجعل الأب في العالم الثالث مسؤلاً عن موت شقيقته و كل فتاة كتب عنها:

أفتحُ صندوقَ أبي أُمَزِّقُ الوصية

(قباني، نزار، ١٩٨٧م، صص٥١-٥٤)

و نراه أيضاً يقوم في وجه السلطة الأبوية. ولكن بلسان المرأة. ففي قصيدة ((يوميات امرأة لا مبالية)) يدافع عن قضية المرأة ولكن بلسانها:

أبي رجلٌ أنانيٌ، مريضٌ في محبّته

(قباني، نزار، ١٩٨٩م، ص٥٩٣)

ويقول في أبياتٍ عن ثورته على أصحاب اللّحى:

وهكذا ياسادتى الكرامْ

قضيت عشرين سنةْ...

إستنشق الزكامَ من لحيته و السلّ في العظامْ

أُجْلَدُ كلَّ جمعة بخطبةٍ غرّاءْ

(قباني، نزار، ١٩٩٣م، ص٢٩)

و في قصيدة ((قتلناك)) نزاريرثي بها جمال عبد الناصرالتي فيها يعود موت الأب إلى ذهن الشاعر:

قتلناك... يا حُبّنا و هوانا...

وكنتَ الصديقَ و كنتَ الصدوقَ و كنتَ أبانا

و حينَ غسلنا يدينا... اكتشفنا بأنّا قتلنا مُنانا

و أنّ دماءَك فوق الوسادةِ كانت دمانا

(المصدر نفسه، ١٩٩٣م، ص١٥)

وفي نهاية الكلام يقول: ((إنّ المجتمع متمثلاً بالرجل. الرجل لا يتقبل، أن تتفوق عليه المرأة، ولا يحب المرأة الفصيحة... نحن الرجال نفضل المرأة الخرساء... وإذا تجاوزت حدوداً معينة للتعبير عن نفسها، فإنّها حتماً ستصدم بالكثير من المعوقات التي تحول دون تقدمها مع الأسف. والمرأة هي التي تستطيع، أن تحرر نفسها بنفسها)). (الخوري طوق، جوزيف، ج٢، ١٩٩٨م،ص ١٣٩)

ج) مكانة الأولاد في شعر نزار:

في المجتمع الأبوي، حيث العلاقة غير متكافئة بين الرجل و المرأة، يُنشؤن الصبي، على أنّه أرفع قدراً من الفتاة.فيكبر الصبي و في نفسه هذا الاعتقاد بالأفضلية. و هو اعتقاد يصاحبه قلق دائم، عند الصبي خوفاً من ضياع هذا الامتياز، و فقدان جداراته في عين المجتمع خاصةً في عين المرأة. فهناك إذن قلق الفتى على رجولته، لأن فيها جدار له التي يحافظ بها على مكانته.

وهذا عبء، ينوء بحمله الكثير من الرجال، فيتردّدون أمام كلّ علاقة تربطهم بالمرأة. ولعلّ شاعرنا الفتى أحس بعقله الباطن خطورة هذه المواجهة بينه وبين صاحبته فسمعناه يقول:

إلى متى أعتكف عنها و لا اعترفُ

أضلّل الناسَ و لوني باهتٌ منخطفُ

وجبهتي مثلوجةٌ و مفصلي مرتجف

(قباني، نزار، ١٩٨٣م، ص٢١١)

لقد سبق الحديث عن طغيان الجو السلطاني من أعلى الهرم حتي أسفل القاعدة التي تشكلها العائلة من أب و أم و أولاد.(البقاعي، شفيق، ١٩٩٠م، ص٨٥)

ولا ريب، أن الشاعر مدرك سبب خوفه الاجتماعي حين يردّها إلى البيئة التي تقمع الرغبات، وتسلّط أعين الناس والسنتهم على تحركات المحبين و صبواتهم، باعتبار الحب عيباً

لا تقرّه الأخلاق الاجتماعية إلا إذا رافقه الزواج، غير أن شاعرنا إذا كان واعياً دور الناس في كبح ميوله، فإنّه أكبر الظن، يجهل قلقه الباطني الذي يدفعه إلى التردد و التستر في أمر شعوره نحو الفتاة.فالتردّد مرجعه في رأي المحلّلين إلى اختلاط عواطف الحب والكراهية في عقلنا الباطن.فالانسان عندما كان طفلاً، تعلّق بأمّه، تعلّقاً لافكاك منه. بحيث ترسّخ فيه الاعتقاد أنّه تابع لها في كل شئ. (نجم، خرسيتو،١٩٨٣م،صص ١٣٢ و ١٣٣)

٢- الوطن و قضاياه في شعر نزار (دمشق)

نبدأ بحثنا حول الوطن الذي عاش فيه نزار، و كبر، و نشأ فيه، يقول:

((سنوات و أنا أحمل بلادي في صدري، أخبـّئها في جفون كلّ حرف كتبته، في كل نقطة حبر سفحتها علي الورق...))

(الشيخ، غريد، ٢٠٠٠ م، ص٤٢)

و هناك كثيرون يسألون أين هو الوطن في شعر نزار قباني المرأة و الحبّ و الغزل؟

فهو يجيب عن هذا السؤال بحماس: الوطن مرسوم في كلّ فاصلة، في كلّ رشّة حبر، يتركها أديب على الورق. رائحة الوطن هي رائحة مدادنا و شواطئة و جباله و اقماره و نجومه و عيون نسائه...

و لكن رغم حبّه الكبير لبلاده، فهو بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ م يظهر غضبه على هذه البلاد التي كان يحبّها، و يتصرّف بسادية ، و كأنّه يرقص فوق جراحاتها.

وهو يقول بألم:

يا وطني الحزين

حوّلتني بلحظة...

من شاعر يكتبُ شعر الحبّ و الحنين

لشاعر يكتبُ بالسّكين

(المصدر نفسه، ٢٠٠٠م، ص٤٢)

فيقول نزار: أنا أعشق الطبيعة و خاصةً طبيعة دمشق التي انتقلت معي في كلّ مكان أذهب إليه، و لكن الطبيعة كالعالم المنفصل، لم تلعب في شعري دوراً هاماً، فالإنسان بالنسبة لي أهمّ منها و أقوى حضوراً .(المصدر نفسه، ٢٠٠٠م، ص٢٥)

فهو دائماً يربط الأشياء الجميلة بعلاقة إنسانية، و خاصة يضعها تحت تصرّف المرأة التي كان يحبّها و في خدمتها. و هكذا يتطور معني الحب عند نزار، حيث يتحوّل إلى ثورة نضالية، ليست من أجل المحبوبة أي المرأة فقط، بل إنّه من أجل الوطن:

ما زلت أحبك يا بيروت العشق

يا بيروت الذّبح من الشريان إلى الشريان

(قباني، نزار،١٩٩٨م، ص٤٣)

حتّى تصبح الحبيبة عنده هي الوطن:

هي أنني أحبك

وأعتبر نفسي مسؤولاً عن حماية أجمل بنفسجيتين

في عالم

أنتِ... و بيروت

(المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص٩٣)

لأنّ بيروت ضمنت للشاعر الشهرة، كما ضمنت الثروة، فحق له، أن يتعاطف معها في محنتها، و أن يترحمّ على ما في أيامها و أيامه الزاهرات في قصيدته المشهورة ((ياست الدنيا يا بيروت)) و لو أنّ الكثيرين يجدون فيها من جهة ملامح القصيدة ((الكيدية)) لأنّ فيها تعريضاً بالمدن العربية الأخرى وبالعرب الآخرين المسؤولين برأيه عن خرابها. (فاضل، جهاد، ١٩٨٢م، ص٥٤)

وهكذا نزار يقول: إنّ المرأة والوطن، لهما قضيّه واحده، وله مقطوعة عنوانها((أنهم يغتصبون إمرأة تدعى الوطن))

وبعد موت ولده توفيق يقول نزار: ((و ما إن ترك توفيق منزل الأبوة، حتى صار له

آلاف الآباء و الأمهات في كل مكان من هذا الوطن العظيم، في دمشق أعطوه سريراً، و في لبنان كتبوه على ألواز الصنوبر و دفاتر الثلج، و في مصر أهدوه أعلى ما في خان الخليل من مصاحف، و في بغداد أطعموه المن و السلوى، و في السعودية لفّوه بعباء فيها شئ من أنفاس الرسول، و في السودان قدّموا له عروساً بلون النحاس و خشب الأبنوس و في الأردن وضعوا حول عنقه طوقاً من ياسمين أريها، و في الكويت و البحرين أهداه صياد و اللؤلؤ وجدوها في أعماق البحر.

((آه... ما أروع الموت بين العرب... و مع العرب....

آه... ما أروع الانتماء إلى القبيلة))

(بركات، جميل، ١٩٨٩ م،ص٢٧٨)

فنزار في رثاء ولده يقول:((كان ولدي... فصار ولدكم))

وهكذا نزار يتأثر بموت ولده و يرجع إلى أصله و بدواته و يذكر مشاركة أبناء قبيلته، أى (العمومة و الخؤولة) معه في الحياة، و الموت و المشاكل الموجودة عنده.

٣- العالم العربي في شعر نزار

كما نلاحظ و من خلال عناوين القصائد أن المدن التي تغنّيى بها نزار و جعلها أوطاناً له يدافع عنها، و يهتم بقضايا أهلها تتزايد مع الأحداث و الثورات العربية على ساحة الوطن العربي الممتد من المحيط إلى الخليج، و في ذلك يقول نزار: ((كل مدينة عربية هي أمّي...)) (قباني، نزار، ١٩٨١م، ص١٦١)

يقول نزار عن حبّه إلى الوطن: ((إنّ شعري كلّه ابتداء من أوّل فاصلة حتى آخر نقطة فيه و بصرف النظر عن الموادّ الأولية التي تشكلّه، و البشر الذين يملؤونه من رجال و نساء التجربة التي تضيئه سواء كانت تجربة عاطفية أو سياسية هو شعر وطني))(قباني، نزار، ١٩٧٣م، ص١٧٤)

إنّ نزار كثيراً في أشعاره تغنّى بالوطن، حيث وصف في ديوانه الأوّل بلده، وطبيعته وكل ما فيه من المظاهر الجمالية ثمّ في ديوانه الثاني ولكن في حقيقة الأربعينات هذه الأشعار لم تدخله في سلك الشعراء الوطنيين. وهذا يدلّ على أنّ أشعار نزار لم تتصل بالجماهير ولم ترتبط

بقضايا وطنه الهامة. ولكن بهذه الصورة أيضاً كان يُطلق عليه الشاعر الوطني بعد النكسة.

فكان شعره الوطني قسمين: ما قاله عن مسقط رأسه دمشق والثاني ما انشده حول البلاد العربية الأخرى والوطن العربي كلّه، حول حبه لبلده ((دمشق)) وتعلقه بالوطن يقول:

أنا عصفوركم الأخضر... يا أهل الشام

فمن وجدني منكم...فليطعمني حبة قمحٍ .

(قباني، نزار،ج ٦، ١٩٩٣ م، ص٤٠٩)

ومن دمشقياته نقرأ:

كلّ ((الياسمين الدمشقيّ)) يهرهرُ فوق شرفتها

(قباني، نزار، ج٢، ١٩٨١م، ص٧١٩)

و يذكر نزار أن المشكلة الفلسطينية مشكلة عربية و المأساة شامله تطول كلّ عربيّ و أمراء البترول في نظر الشاعر يعيشون على هامش القضية كأنّها لا تعنيهم:

تغوص القدس في دمها و أنت صريعُ شهواتِكَ

تنام و كأنما المأساة ليست بعض مأساتِكَ

(المصدر نفسه، ج ٢، ١٩٨١م، ص٥٥)

ويتابعهم الهزء بالانسان العربي في قصائد كثيرة، ففي ((هوامش على دفتر النكسة)) يرسم صورة العرب كما يلي:

خمسة آلاف سنة

ونحن في السرداب

ذقوننا طويلة

نقودنا مجهولة

عيوننا مرافئ الذباب

(المصدر نفسه، ج ٢، ص٥٧)

آراؤه الاجتماعية في الشعر:

١- الشعر الغاضب في تصوّره مخطط ثوري، يضعه و ينفذه إنسان غاضب و يريد من ورائه تغيير صورة الكون، ولاقيمة للشعر، لايحدث ارتجاجاً في قشرة الكرة الأرضية، ولا يحدث شرخاً في خريطة الدنيا، وخريطة الإنسان.

٢- كل قصيدة، بصرف النظر عمن كتبها... و في أى عصر كتبت فيه هي محاولة لإعادة هندسة النفس الإنسانية... و إعادة صياغه العالم لذلك لا أهميّة لشعر يأخذ دور آلة التصوير للمستندات... فالقصيدة هي نسختها الأولى فقط... و كلّ نسخة مسحوبة عنها، هي نسخة مزورة.

٣- وظيفة القصيدة هي وظيفة تحريضية بالدرجة الأولى، لا وظيفة توفيقية.

٤- الشعر هو من مواطني مدينة(لا)... لا من مواطني مدينة(نعم) أي أن الشعر أساساً هو عمل من أعمال المعارضة لا الموالاة... و من أعمال الرفض لا القبول.

٥- أتصور أيضاً، أن الشعر برقية عنيفة و حارقة، يرسلها الشاعر إلى العالم، و المرسل إليه، عنصرهام في كلّ كتابه و ليس هناك كتابة لا تخاطب أحداً، إلّا تحوّلت إلى جرس يقرع العدم.

٦- البداية و النهاية هم الإنسان و هم أهمّ من كلّ شئ، و مهمتي إعادة تركيب الإنسان العربي عقلاً و جسداً.(فاخوري، حنا، ج ٢، الأدب الحديث، ١٩٩٥م، ص٦٩٠)

٧- ليس في شعري نقمة على المجتمع، وإنّما هو محاولة لتغير المجتمع. الفنان الحقيقي لا ينقم، ولكنه يحاول دائماً تغيير المجتمع.

لذلك أستطيع القول أنني اخترعت لغة: استطعت أن أخطف الشعر من شفاه الناس وأفواههم وأردّه إليهم. كسرتُ الحاجز، جدار الخوف من الشعر، القائم بين الناس وبين الشعر، و أشعر بكبرياء لا حدود لها لأنني استطعتُ أن أحوّل الشعر إلى قماش شعبّي يرتديه كلّ الناس.(المصدر نفسه، ج ٢، ١٩٩٥م، ص٦٩١)

الالتزام القومي والاجتماعي في شعر نزار:

ما كسبه للاجتماع وما عنده من النظم و النثر نراه من هدفه و قصده المنفعة للمجتمع الذي عاش فيه و نشأ بين أقوامه، و اعتقاده بأن يكون شعر ذا هدف اجتماعي، يسمو به عن المنافع الشخصية، ليصبح عاملاً من عوامل التغيير و التطوير و البناء الحضاري لدى الأمم.

و بموجب ذلك نرى شاعرنا مسؤولاً اجتماعياً و قومياً، فيجعل التزامه في الشعربأن يكونفي خدمة المجتمع الذي يعيش فيه و الأمه التي ينتمي إليها (أو الناس الذين ينتمي إليهم).

النتيجة:

أمّا أهم الموضوعات الاجتماعية التي عالجها نزار في شعره فهي:

الحرية والاستقلال والثورة على الظلم والإستبداد والوطن والحق، القوة والأمة العربية وأمانيها ونهضتها ووحدتها وحضارتها ولغتها ومظاهرالتعصب وعصبة الأمم والمبادئ والسنن، والحروب وأهوالها والمجتمع ومشاكله، ومؤسساته، ونظمه وعاداته وتقاليده ومفاسده والتعاون والوطنية والعلم والأخلاق والتربية والدين والمرأة وقضاياها ومسائل النهضة القومية والتطوّر الحضاري و...

فهو يعتبر أنّ الشعر هو ترجمة الخوالج النفسية و الباطنية هو جزء من نفسية المرأة وبالشعر وحده داء الأمة و داء المرأة، وقد لاقى شعره استحساناً لدى شريحة لا يستهان بها في المجتمع اللبناني خاصة والمجتمع العربي عموماً. إنّ نزاراً يمثل عن حق جيل الشباب بالاضافة إلى نضاله السياسي والأدبي، وكذلك بدعوته إلى التحررمن الاستعمار ومن القيود التقليدية في الكتابة عامة والشعر بنوع خاص. فنرى نزاراً ثائراً، يريد تحرير المرأة، كما أنّه ثوري ضد الحكام، وفي هذا المجال يقول:

لا رأس يقطع دون أمر أبي لهب.

فالشعر بالنسبة لنزار قباني لا يهم إن كان حديثاً أو منظوماً و ليس هو أزمة شكل أو أحاد أو مطولات أو مكعبات أو خماسيات أو غيره.

الشعر هو أن يكون بمستوى كل الناس و على الجميع، أن يفهموه، فهناك إشارات للثورة، نرسمها بكلمات القصيدة، و نقاطها و حركاتها و تفاعلاتها.

فعندما يخاطب نزارالمراة، أنما يخاطب كل نساء الأرض بدءاً من والدته وأخته وابنته وحبيبته وصديقته لأنّ الانثى هي المحركة في الحياة.

وقد يقول قائل، إن نزاراً ((حكواتي)) شعر أكثر مما هو شاعر، حكواتي يخاطب جمهوراً معنياً على قدر ملكاته واهتماماته. حكواتي يعرف ما يثير هذا الجمهور، ويعجبه ويطربه. حكواتي خبير بعلم النفس للأفراد، خبرته بعلم نفس الجماعات. ومن أجل ذلك، أمكن هذا الحكواتي أن يجذب جمهوره، وأن يطيل موسمه، وأن يجعل عرض((حكايته)) يستمر سنوات، في حين أن حكايات سواه افتقرت عنصر الشعبية أو الجاذبية وماتت بعد حين، ولكن لا يجوز إهمال دراسة هذا ((الحكواتي)) الذي ضخ الحيوية والحماسة في قطاع الشعر الذي يشهد ضموراً أو تراجعاً مخيفاً مع الوقت يهدده في وجوده وذاته. وهذه الدراسة مطلوب من الشعراء أنفسهم، أو قبل سواهم، أن يقوموا بها.

لقد كان تقدّم نزار قباني في العمر جديراً بأن يحرّضه على أنغام شعرية أخرى غير النغم الوحيد الذي اشتهر به و نوّع عليه. ولكنّه ظلّ حتّى آخر قصيدة نظمها مصرّاً على هذا النغم الذي كان لا نغم آخر له سواه. ولكنّه بقدر ما أثارإعجاب جمهوره، أثاررريبة كثيرين حول نظرته إلى كرامة الشعر و كونه لعبة رفيعة لا يجوز استخدامها لغايات التكسب.

ففي تأييد التزام شاعرنا نذكر هذه المسالة أنّ نزاراً كان ينتمي إلى الأسر العربية جميعها، و كأنّه كان واحداً منهم، بل كان أقرب الناس إليهم، و إلى أحلامهم.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو السعود، صلاح: روائع نزار قباني، مكتبة النافذة، ٢٠٠٣م.

٢. أبو حاقة، أحمد: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.

٣. أحمد، على، دردة: هجرة العقول العربية، أسباب و سبل معالجتها، المنارة، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤. أشار، بيّار: سوسيولوجيا اللغة العربية مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٥. بركات، جميل: فلسطين و الشعر، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، عمان،١٩٨٩م.

٦. البقاعي، شقيق: أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.

٧. ثابت، محمد و سمر الضوي: روائع نزار قباني، دار الرّوائع، ط٣، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ، ٢٠٠٤م.

٨. خالد أبو على، نبيل: نزار قبّاني شاعر المرأة و السياسة، مكتبة مدبولى، مصر، القاهرة، ١٩٩٩م.

٩. خليل جحا، ميشال: الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، دار العودة، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ١٩٩٩م.

١٠. الخوري طوق،جوزيف: نزار قبّاني ثورة و حرية، دارنوبيليس، الأشرفية، لبنان، بيروت، ١٩٩٨م.

١١. الدقاق، عمر: فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق العربية،لبنان، بيروت، بلاتا.

١٢. الرحبي، سيف: جدل الأشكال الشعرية،الشبكة العنكبوتية.

١٣. الريماوي، عبدالله: الحركة العربية، الواحدة، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت،١٩٦٤م.

١٤. زيعور،محمد: المنهجيّة في الأطروحة الجامعية، مؤسسة عز الدين،لبنان، بيروت،١٩٦٤م.

١٥. سلوم، داود: مقالات عن الجواهري و الآخرين، كلية الآداب، مكتبة الأندلس، العراق، بغداد، ١٩٧١م.

١٦. شعار،فوّاز: الموسوعة الثقافية العامة، الشعراء العرب، دار الجيل، لبنان، بيروت، بلاتا.

١٧. شكيب انصاري، محمود:،تطور الأدب العربي، المعاصر(تاريخ و نصوص)،انتشارات دانشگاه شهيدچمران أهواز، ط٣، ايران، أهواز، ١٣٨٢هـ.

١٨. الشيخ، غريد: سلسلة أيام معهم، أيام مع نزار قباني، دار الكنوز العربية، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٩. شلق، علي: أثر البادية في الشعر العربي، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٠. صبحي،محي الدين: من قاسم أمين إلى نزار قباني، مجلة الفكر العربي،لبنان، بيروت، العددان(١٧و١٨)،١٩٨٠م.

٢١. صفر، جوزيف، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم(تاريخية، جغرافية، حضارية،أدبية)، من عصور ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفية، لبنان، ٢٠٠١م.

٢٢. عبدالصبور، صلاح: الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العاملة للكتاب، مصر، قاهرة،١٩٩٢م.

٢٣. عبدالناصر،جمال: خطاب في اللجنة التحضيرية المؤتمر القوى الشعبية، في ٢٥ نوفمبر،١٩٦١م.

٢٤. عبدالله، عطوات، محمد: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان، بيروت،١٩٩٨م.

٢٥. عيد، عاطف: قصة و تاريخ الحضارات العربية، بين(الأمس و اليوم و فلسطين)، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م- ٢٠٠١م.

٢٦. غيبة، حيدر: النزاع العربي الاسرائيلي في مستنقع التطرف الصحيوني، دار القلم العربية، سورية، بلاتا.

٢٧. فاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل، ط٢، لبنان، بيروت،١٩٩٥م.

٢٨. فاضل، جهاد: نزار قباني ماتت بلقيس...فترمّل الشعر، مجلة الحوادث، في تاريخ ١٩٨٢/٢/٥٦م.

٢٩. فاضل، جهاد: نزار قباني الوجه الآخر، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٠م.

٣٠. فقيه، يونس: ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني، دار بركات،لبنان، بيروت،١٩٩٨م.

٣١. قدورة، زاهية: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٢. قباني، نزار: ديوان يوميات امرأة لا مبالية، منشورات نزار قباني، ط١٢، لبنان، بيروت،١٩٨٩م.

٣٣. ـــــ، ـــــ: ديوان الأعمال السياسة الكاملة، منشورات نزار قباني، ط٥، لبنان، بيروت،١٩٨٣م.

٣٤.ـــــ، ـــــ: قصتي مع الشعر، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٧٣م.

٣٥.ـــــ، ـــــ: قصائد متوحشة، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٧٣م.

٣٦.ـــــ، ـــــ: ديوان أشهد أن لا إمرأة إلّا أنت، منشورات نزار قباني،ط٨، لبنان، بيروت،١٩٨٨م.

٣٧.ـــــ، ـــــ: ديوان هكذا أكتب تاريخ النساء، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٨٧م.

٣٨.ـــــ، ـــــ: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني،ط١٢، لبنان، بيروت،١٩٨٣م.

٣٩.ـــــ، ـــــ: قصتي مع الشعر، منشورات نزار قباني،ط٧، لبنان، بيروت،١٩٨٦م.

٤٠. ـــــ، ـــــ: ما هو الشعر؟، منشورات نزار قباني،ط٢، لبنان، بيروت،١٩٨٢م.

٤١. ـــــ، ـــــ: ديوان كل عام و أنت حبيبتي، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٨١م.

٤٢. ـــــ، ـــــ: لعبت بإتقان و ها هي مفاتيحي، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٩٠م.

٤٣.ـــــ، ـــــ: ديوان إلى بيروت الأنثى مع حبّي، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت،١٩٩٨م.

٤٤. ـــــ، ـــــ: قصيدة بلقيس،مجلة المستقبل، السنة السادسة، عدد٢٥٩، ١٩٨٢/٢/٦م.

٤٥. گلی زواره، غلامرضا: سرزمين إسلام شناخت إجمالي كشورها و نواحي مسلمان نشين جهان، مركز انتشارات، دفتر تبليغات إسلامي، ايران، قم، ١٣٧٢هـ.ش.

٤٦. المجلة العربية، الثقافية بيروت العربي، العدد٥١١، يونيو،٢٠٠١م.

٤٧. مجلة المعرفة، عدد تشرين ٢، ١٩٧٥ دمشق، مقالة جورج متوضي ((تلازم الوحدة و الاشتراكية))

٤٨. محمد قميحه، مفيد: الاتجاه الانساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة،لبنان، بيروت،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٩. محمد الحلم، يحيي بقرأة في أدب نزار قباني، منشورات دار علاء الدين، سوريا، دمشق،٢٠٠١م.

٥٠. مراد، انطوان: قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم، لبنان، بيروت، بلاتا.

٥١. ـــــ، ـــــ: قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم،سوريا، ((تاريخية، جغرافية، حضارية،أدبية)، بلاتا

٥٢. مفيد، فوزي: أطول قصيدة اعتراف (مقابلة أدبية مع الشاعر نزار قباني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلاتا.

٥٣. المقدسي،أنيس: الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة الحديثة، دار العلم للملايين، ط٣، لبنان، بيروت، ١٩٦٦م.

٥٤. نجم، خريستو: النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٥. هيئة المعجم: معجم البابطين، للشعراء العرب المعاصرين، بلاتا.

٥٦. ياسر، عبد النبي: نزار قباني في البدء كانت الأنثى، (سلسلة قراءة في شعر نزار)، دار المسلم، لبنان، بيروت، ١٩٩٨م.